مجلة المرابط

العدد : ٢٠٧ الموافق في ذو القعدة ١٤١٩ هجري ٣ / ١٩٩٩ ميلادي

عنوان المقال : محتار.. يسأل ..؟	بقلم : د. أحمد فوزي

صديقان يحاولان فهم واقع المسلمين وهما متحرقان متلهفان لتغيير هذا الواقع ، أحدهم يستفسر والآخر يحاول أن يجد الجواب في ظروف العصر المعقدة .

*****

محتار : أسمع كل يوم وأقرأ في كل مناسبة الكثير عن ماضي المسلمين العريق وتاريخهم المشرف ، عن معاركهم الفاصلة .. عن حطين وعين جالوت واليرموك والقادسية فيسعد قلبي وأنتفش زهواً وأسبح في أحلام تنسيني الواقع الأليم .. ولكن توقظني بين الحين والحين كلمات الشاعر :

إن الفتى من يقول ها أنذا ليس الفتى من يقول كان أبي

فهيم : إن قراءة تاريخ الأجداد وسير عظماء التاريخ الإسلامي ومعاركهم ؛ ترفع من همم القراء ، وتشد من عزائمهم ، وتذكرهم بالتضحيات والانتصارات ، فتشجعهم بذلك على السير على خطاهم ..

محتار : ولكن مشاعر عميقة من الحزن والألم تنتابني عندما أقارن الحاضر بالماضي ، وخاصة عندما يتسرب شعور العجز عن التغيير ويتثبت في نفسي هذا الشعور يوماً بعد يوم .. فما أصعب التغيير في زمن يسيطر فيه الظلم على مقادير الأمور ، ويفرض هيمنته باسم العدالة ، ويتستر بالقانون ، ويتحجج بالمصالح ... وأصحاب العدل ضعفاء ، عاجزون ، وفي زاوية من زوايا مطبخ الأحداث يراقبون !!

فهيم : أفهم هذه المشاعر جيداً وهي مشاعر أشد عمقاً وإيلاماً عند من يشعرون بالمسؤولية من المسلمين ، وعند من يرفضون هذا الواقع الأليم .

محتار : هل يمكننا أن نتخلص من هذه المشاعر المؤلمة أو نخفف منها ؟ وكيف ؟!

فهيم : نعم .. عندما يتغير هذا الواقع .

محتار : ليس هذا ما أريد ، فنحن نعيش اليوم في هذا الواقع الذي يصعب علينا تغييره ، ويجثم على صدورنا ويسبب لدينا الإحباط وأحياناً اليأس والعياذ بالله .

فهيم : وهل يصاب المسلم بالإحباط أو اليأس يا محتار ؟! .

محتار : لا أقصد هنا اليأس من رحمة الله وعونه ، ولكن أقصد أن المسلم إنسان من لحم ودم ؛ له مشاعره وحاجاته وغرائزه ، ولصبره حدود ، ولطاقته وتحمله أمد .. لذلك فهو في حاجة إلى محطات

يتزود فيها بشيء من الطاقة ، وفي حاجة إلى أن يرى بصيصاً من نور .. أن يشعر بأنه مؤثر في هذا الكون .. أن يشعر بكيانه وقيمته ..

فهيم : أقترح أن نخرج من وصف الحال إلى محاولة تغييره ، وهذا والله أعلم ليس بالمحال .

محتار : أرجو أن تلفت نظري لبعض الأمور العملية ، ولو كانت بسيطة ، ولا تبقني في حدود الوعظ والتنظير .

فهيم : لن أعيد على أسماعك ما تعلمناه ونعرفه من ضرورة التربية والإعداد، وفهم الإسلام والواقع والعالم والعصر ، ولكن سأحاول بناءً على فهم هذه الأمور أن أجد بعض الممارسات والأهداف القريبة التي يمكن أن تكون في متناول كل فرد مسلم، إن قام بها أفادت في إضعاف الخصم ، وأراحت النفس التي تطلب أن تقوم بواجبها على أرض الواقع .

محتار : هات جانباً من هذه الممارسات .

فهيم : ليس من شك ولا يختلف مسلمان على أن العدو الأول لأمة الإسلام هي أمريكا وإسرائيل - ولا أتحدث هنا عن شياطين الإنس بين ظهرانينا - وهذان العدوان يملكان اليوم كل أنواع القوة المادية التي لا يملكها المسلمون في وضعهم الحالي مع تفرق حاكميهم ونظرتهم القريبة ... لذلك لابد أن يراجع كل منا كيف يمكنه هو مع من حوله أن يقف في وجه هذه القوة المادية وقوفاً مبدئياً يؤثر عليها جزئياً .. أو كلياً .

محتار : كيف يمكن أن يقف الأفراد أمام هذه القوة العاتية يا فهيم ؟! .

فهيم : لا تحقرن صغيرة إن الجبال من الحصى

محتار : كم عدد حصيات العالم الإسلامي اليوم ؟

فهيم : تزيد على المليار حسب علمي .

محتار: أين تكمن قوة كل فرد بمفرده منهم ؟

فهيم : في إدراكه لما يريد ، ووعيه ومعرفته بالطريقة التي تمكنه من التأثير على عدوه ، فيحسب له هذا العدو حساباً ويخشى هذا الوعي وهذا الفهم .

محتار : ماذا تقترح من أساليب أو وسائل للتأثير على هؤلاء الأعداء .

فهيم : لنأخذ أولاً التأثير في الجوانب الاقتصادية ؛ فهناك البنوك الغربية والتعامل معها .. وهناك البضائع الأمريكية التي تغزو بيوتنا ، وهناك ...

محتار : لنأخذ البضائع الآن كمثال ، هل يمكن أن تسمي لي بعضها ؟

فهيم : هي كثيرة جداً مستهلكاتنا - والحمد لله الذي لا يحمد على مكروه سواه - ولا أعني هنا المستهلكات التي لم يعد يمكن الاستغناء عنها " كالكومبيوتر " والأجهزة الطبية الحديثة والطابعات الإلكترونية .. وما شابهها .. وإنما أعني ما يمكننا الاستغناء عنه وهو من الكماليات ولكن يشكل جزءاً كبيراً من اقتصاد واحد ممن يحاربون الإسلام وهو أمريكا .

محتار : هل تعني بالاستغناء عن أمثال هذه البضائع أن يقوم المسلمون بمقاطعة " الكوكا كولا " مثلاً ومقاطعة الألبسة الأمريكية ومقاطعة الألعاب الأمريكية ومنتجات " هوليود " و " والت ديزني " و " أطعمة ماكدونالد " ...؟!

فهيم : لقد عددت بعض ما كنت أود أن ألفت نظرك إليه كأمثلة لما يمكن أن يفعله كل طفل تربى على الأصالة والمروءة ، وما يمكن أن يفعله كل والد ووالدة تعي الخطر الذي يزحف على المسلمين ويقترب من بيوتهم يوماً بعد يوم وساعة بعد ساعة

محتار : وماذا سيضر هذا .. ؟!

فهيم : هذا سينفع في البداية من يقوم به من المسلمين ، لأنهم سيشعرون بقدرتهم على الاستقلال .. الاستقلال في مأكلهم ، والاستقلال في مشربهم ، والاستقلال في ملبسهم وفي قضاء أوقات فراغهم .. وسيشعرون بتميزهم .. ولن يكون لثقافة عدوهم هذا التأثير الذي نلحظه اليوم في كل زاوية من زوايا حياتهم حتى وكأنه ليس للمسلمين شخصية يتميزون بها أو تقاليد نشأوا عليها ..

محتار : أجبتني بفائدة الانتباه لهذا الجانب على من يقوم به .. وسؤالي كيف سيضر هذا عدونا ؟.

فهيم : هل تدري أن المسلمين يشترون يومياً ملايين الألتار من الكوكا كولا وسواها من المشروبات الأمريكية ، وأسبوعياً ملايين القطع من الألبسة الأمريكية وسنوياً مئات الألوف من السيارات ، ناهيك عن المأكولات .. والأفلام ...و ؟!

محتار : إنها والله أمور يمكن الاستغناء عنها ، أو الحصول عليها من مصادر أخرى ، أو صناعتها صناعة محلية وكثير منها ليس من الضروريات ولو عددنا الأمور التي يمكن أن نستغني عنها ووطنا أنفسنا على ذلك ، وأعلنا لعدونا عن عزمنا على هذا لنظر إلينا نظرة أكثر احتراماً ولاهتم بمصالحه في بلادنا ، ولم نكن عليه هينين كما نحن اليوم .

فهيم : من يهن يسهل الهوان عليه ما لجرح بميت إيلام

لذلك لا بد أن تحيا العزة والمروءة والشهامة في نفوس المسلمين اليوم ، ولا بد من الثقة بأننا قادرون على الاستغناء عن عدونا ؛ فنأكل مما نزرع ، ونلبس مما نصنع ، ونقاطع ما يضر ولا ينفع .

محتار : خطوة عملية معقولة من خطوات كثيرة ... ولكن ماذا عن إجبار حكامنا على شراء الأسلحة من أعدائنا بمليارات الدولارات ؟ فمن هذا الطريق يعوض العدو خسارته بل أضعافاً خسارته التي سببتها له يقظة الشعوب وشعورها بالمسؤولية .

فهيم : معك حق .. اتركني أفكر في هذا الموضوع حيناً .

